

الحثيون وحملاتهم على سورية

الدكتور فاروق اسماعيل

جامعة حلب

يعدّ تاريخ الحثيين ذا وضوح متميز نظراً لوفرة النصوص الكتابية المتنوعة، ولاسيما التاريخية عنه. فقد عبّر ملوكهم عن اهتمام خاص بتاريخ أحداث عهود حكمهم، ودوّنوا تقارير مفصلة عن حملاتهم الحربية وإنجازاتهم، وكتبوا حوليات عنها، جمعوها أحياناً في تقرير عام شمل حوليات عقد كامل من الزمن.

يضاف إلى ذلك كثرة المعاهدات السياسية الدولية التي تضمنت عادة مقدمات تاريخية لخصت العلاقات السابقة بين المتعاهدين، وحرص بعض ملوكهم على تدوين سيرهم الذاتية وأخبار الأسرة الحاكمة، فتاريخهم لذلك كامل لا نقص في مراحلها، ولكن ما يمكن أن يثير الجدل حوله هو ترتيب الأحداث ضمن فترة حكم ملك من الملوك.

إن الاطلاع على تاريخهم مشوق مثير؛ لأنه مليء بالأحداث والحروب والفتن والمؤامرات، ويشعر المتعمق فيه بأنه أمام رواية تاريخية طويلة فيها كل عناصر التشويق والإثارة.

وتعود صلة مدن شمالي سورية ولاسيما حلب به، إلى أنها ابتليت بالاحتلال الحثي لها والسيادة عليها حوالي أربعة قرون، لم يُجد خلالها محاولات حلب وغيرها من دويلات المدن السورية العديدة الصغيرة في التحرر منها لتفرقها وضعفها أمام الخصم القوي

الضخم. كما لم تتففع اتصالات بعضها مع القوة السياسية الكبرى الثانية في المنطقة؛ أعني المصرية، ولم تكن نتيجتها سوى تبديل سيد بآخر.

واستطاعت القوتان السياسيتان الحثية، والمصرية، وضع حد لتنامي قوة مملكة الحوريين-الميتانيين، التي سعت إلى جمع المدن السورية في إطارها وتشكيل قوة ثالثة سورية، وذلك بأن حاربتها عسكرياً بضراوة، وتمكنت من زرع الشقاق بين الأسرة الحاكمة، وخلقت فيها تيارات متصارعة. ولولا ذلك لكانت المملكة الحورية الميتانية مرشحة قوية لتوحيد الكيانات السياسية السورية المتفرقة.

لقد كانت سورية -بشكل عام- مسرحاً للصراع السياسي الاقتصادي بين تلك القوى في العصر البرونزي المتأخر أو النصف الثاني من الألف الثاني ق. م، وهو عصر مظلم في تاريخ سورية مقارنة مع العصور السابقة أو اللاحقة.

تسمية الحثيين مأخوذة عن التوراة، حيث يرد فيها بصيغة (حتم)، وتشير إلى شعب صغير كان يقيم في سورية وفلسطين في بواكير الألف الأول ق. م. وواضح أنها لا تتوافق مع السياق التاريخي ولا الإطار الجغرافي الحقيقي للحثيين، وربما تكون الدلالة التوراتية مقتصرة على مجموعات حثية استمر وجودها في سورية وفلسطين بعد انتهاء المملكة الحثية في مطلع القرن الثاني عشر ق. م.

ثم ربطها الباحثون مع تسمية حثي Hatti التي ترددت في الكتابات المسمارية دالة على أكبر مجموعة سكانية في بلاد الأناضول أو أسية الصغرى، وكان هؤلاء يستخدمون في تدوين لغتهم الكتابة المسمارية أيضاً، ويسمون هم أنفسهم بـ (نسيين). وكان يقطن معهم في المنطقة نفسها مجموعات أخرى ذات صلة بهم مثل اللويفيين والباليين وغيرهم. ومن معاني الاسم حثي في الأكديّة: الرعب والهلع الضرب والقمع^(١). كما يفسره بعضهم بمعنى: أناس القمر، عبدة القمر^(٢).

يقصد بـ "بلاد الأناضول" أو آسيا الصغرى "جميع المناطق التركية التي تشكل منبع دجلة والفرات حدّها الشرقي. وهي مناطق جبلية وعرة بركانية يحيط بها البحر من الجهات الثلاث الأخرى. وقد كانت مأهولة منذ عصور ما قبل التاريخ، تدل على ذلك -بشكل رئيس- الآثار المكتشفة في جبل هويوك التي تشير إلى حضارة ذات طابع زراعي.

كانت هناك قبائل بدائية عدة تستوطن البلاد منذ الألف الثالث ق. م. ونعرف من هذه القبائل القديمة^(٣):

Arawanna: أي "الأحرار". وكانوا يقطنون غرب نهر الهاليس (كيزيل إرماك).

Masa: وهو اسم قبيلة صغيرة كانت موجودة في العهد الحثي ومعروفة برماحها وحربها، ويعتقد -اعتماداً على اللغة- أنهم ذو صلة مع القسم الشمالي الغربي من شعوب الفقاس.

Gašgaš: أو الكشكيون. كانوا يقيمون في الشمال الشرقي من البلاد وفي أعالي نهر الهاليس وشمال الفرات. يعدون من أبرز القبائل المحاربة، ويبدو من الأسلاب التي غنمها الملوك الحثيون من مواطنهم أو الجزية التي فرضوها عليها أنهم كانوا يربون الأبقار والأغنام، ويعنون بزراعة الكروم وتصنيع الخمر. وقد نظر إليهم الحثيون دوماً بحقد وفوقية، ووصفوهـم بـ "رعاة الخنازير" و"ساجوا الكتان" وكانت حروبهم ضدهم شبه دائمة.

كانت مناطقهم غنية بثرواتها الطبيعية، وينسب بعضهم إليهم استخراج المعادن، بل ويعتقدونهم مكتشفينها. ونعلم أن الآشوريين أقاموا مراكز تجارية في مناطقهم ومارسوا فيها تجارة النحاس. ويلاحظ في نمط البيوت المكتشفة هناك أنها متميزة؛ فهي مؤلفة من طوابق متعددة على الأقل من طابقين-، وسقفها هرمية الشكل.

إن تأمل لفظ تسميتهم وأسماء عدد من مواقعهم يقود إلى ملاحظة وجود ظاهرة التكرار المقطعي فيها، نحو جش جش، داري تارا (اسم جبل)، مالي مالي، خان خاني. كما يلاحظ أن كثيراً من أسماء مواقعهم تنتهي بالمقطع الصوتي -maha.

يرى بعضهم أنهم ذوو صلة مع (ليليج) الذين كانوا يشكلون فئة من سكان المنطقة في عصور ما قبل التاريخ (الألفين السادس والخامس ق. م.). كما يشيرون إلى احتمال استمرار وجودهم في البلاد حتى عهود متأخرة معتمدين على مشابهة أسماء عدد من مدن البفلاجونيين Paphlagonen التي ذكرها سترابون مع أسماء مواقعهم. وثمة من يعتقد بأن يكونوا هم أنفسهم الذين سماهم اليونان: Kerketai، وقد أشار سترابون إلى وجودهم في الفقاس وقد طابق R. Bleichsteiner هؤلاء مع الشركس المعاصرين.

إن أقدم خبر عن بلاد الأناضول في المدونات المسمارية هو موضوع نص أدبي سماه مؤلفه في آخره بـ "ملك المعركة أو المواجهة Sar tamhari"⁽⁴⁾، حيث ذكر: "انتهى الرقيم الأول من ملك المعركة". مما يشير إلى وجود تنمة للنص لم يعثر عليها بعد.

يروي لنا النص أن تجاراً أكديين مقيمين في مدينة بوروش خندا، التي يعتقد بمطابقتها مع عجم هويوك في وسط البلاد قرب بحيرة الملح، تعرضوا لمضايقات واضطهاد من قبل حكامها، فأعلموا الملك الأكدي شركين (سرجون ٢٣٥٠-٢٢٨٤ ق. م.) بذلك، وناشدوه المساعدة والحماية. استجاب شركين لطلبهم لأنهم أغروه بغنى البلاد وثروة قصره الملكي، وكما تكلفوا بدفع نفقات السفر، وعبرت حملته الجبال الوعرة التي لاقى الصعاب في عبورها حتى وصل المدينة وطوقها ثم اقتحمها واحتلها، ولم يقتل حاكمها بعد أن تذلل أمامه وطلب الرحمة. واحتل المدينة ثلاث سنوات.

إنه نص تاريخي أدبي مليء بالتعابير الشعرية والوصف الفني لبطولة شركين ملك المعركة والطبيعة التي بهرت بجمالها أفراد جيشه الذين لم يألفوا مثل تلك المشاهد في بلاد الرافدين السهلية.

كما نقرأ في نص أدبي يعود إلى عهد حفيده نرام سين (٢٢٦٠-٢٢٢٣ ق.م.) فخره بانتصاره على تحالف ضم عدداً من حكام تلك البلاد، من بينهم حاكم بوروش خندا وحاكم ختوشا^(٥).

في أواخر الألف الثالث ق.م. تدفقت هجرات بشرية متتالية هندوأوروبية إلى البلاد عبر مضيق البوسفور ومناطق شرق البحر الأسود. واختلطت مع القبائل الأصلية البدائية فيها وفرضت سيادتها على أجزاء كبيرة من البلاد منها المنديون أو المحاربون المنديون ERIN Manda الذين قام نرام سين بثلاث حملات مدمرة ضدهم، أنهم كانوا يثيرون مخاوف حكام أكد. وقد استقروا في القسم الغربي الجنوبي من البلاد الذي عرف فيما بعد باسم أرزاوا. ويرى كورنيليوس^(٦) Friedrich Cornelius -اعتماداً على سمات خاصة بآثارهم المادية، كأسلوبهم الخاص في تشخيص الوجوه البشرية بشكل دائري وأشكال أدواتهم المشابهة لنماذج عثر عليها في وسط أوروبا- أنهم انطلقوا من مناطق أوروبا بغرض التجارة، ووصلوا طروادة التي كانت فيما بعد منها للقيام بأعمال الغزو والسلب في المسالك التي كان شركين الأكدي قد سار فيها وأخضعها لسيطرته.

ومنها أيضاً اللوفيون أي ذوو الثعالب (الثعالب -كما نقول حالياً البقارة، الغنامة...-)، وقد كانوا مغامرين وصلوا المنطقة، وتوزعوا فيها، وسادوا على سكانها الأصليين، ولاسيما بعد حملة شركين. وكذلك الباليون الذي انتشروا في مناطق الكشكين وجنوبها. والحثيون (الختيون) الذين استقروا في وسط البلاد، ثم احتلوا الصدارة بين تلك الشعوب وصاروا قادة البلاد.

لقد حافظت هذه الموجات البشرية الجديدة على لغاتها الأصلية، ولكن دخلت إليها كلمات كثيرة من اللغات المحلية الأناضولية كما تأثرت بها واستفادت منها أيضاً،

وتصنف لغاتها في مجموعة لغوية مستقلة ضمن أسرة اللغات الهندوأوروبية، وتدعى مجموعة اللغات الأناضولية القديمة، وأبرزها اللغة الحثية^(٧).

لم تكن هذه اللغة معروفة لدى الباحثين قبل عام ١٩٠٦، حيث كشف هـ. فينكلر Winckler بالقرب من قرية بوغاز كوي حيث كانت العاصمة الحثية (ختوشا) على بعد (١٥٠ كم/ مائة وخمسين كم) تقريباً شرقي أنقرة. عن أرشيف كتابي ضخّم بلغ حتّى الآن - حوالي خمسة وعشرين ألف رقيم مدوناً بالكتابة المسمارية. كان قسم منها باللغة الأكديّة، ولذلك كانت دراستها أمراً ممكناً وتحدّد من خلالها الاسم القديم للموقع وهو ختوشا عاصمة الحثيين، كما أمكن معرفة معلومات كثيرة عن العلاقات السياسية لها. أما القسم الأكبر من النصوص فكان بلغة غير معروفة مماثلة للغة رسالتين كان قد عثر عليهما سابقاً في تل العمارنة بمصر منذ ١٨٨٧م.

في عام ١٩١٥، أعلن الباحث التشيكي هروزني B. Hrozny أنها أقدم لغة هندوأوروبية مدونة متكاملة في نحوها ووثروتها المعجمية. ثم اتضحت الجوانب المختلفة لتلك اللغة التي كان أصحابها يسمونها (نيسا) شيئاً فشيئاً، وأمكن قراءة تلك النصوص، وعرفت لغتها بالحثية أي باعتماد التسمية الأكديّة لمناطق انتشارها (ختي) والتسمية التوراتيّة للمتكلّمين بها في الألف الأول ق. م. بعد زوال مملكتهم الموحدة.

يلاحظ في اللغات أو اللهجات المحلية الأناضولية أنها إلصاقية أي أنها على غرار السومرية- تعتمد في التعبير عن وظيفة نحوية جديدة للاسم أو دلالة معنوية إضافية له على إلصاق (إلحاق، أو إضافة) سوابق أو لواحق مقطعية إليه، فقد كانت تضاف فيها سوابق إلى الاسم المفرد عند جمعه، وكذلك عند بناء الصيغ الفعلية الأساسية. كما تضاف لواحق عند بناء الصيغ الاشتقاقية. كما يلاحظ فيها خلوّ الفعل من المظهر الزمني، ولذلك لا يمكن معرفة زمن حدوثه بشكل مؤكد، ويعتمد فيه على السياق. وبلغت النظر فيها وجود أسماء أماكن كثيرة تنتهي بالسين المفتوحة المشددة لفظاً، نحو

Hapigassa, Haranassa, Nesa, Hattusa, كما أن طائفة من أسماء الأماكن فيها تنتهي بـ sna.

أما اللغة الحثية التي تصنف هندوأوروبية فهي لغة متصرفة كاللغات السامية لا يفرق فيها في الشكل الكتابي - بين الاسم المذكر والاسم المؤنث، ونوعا الجنس فيها يعتمد على تقسيم الأشياء إلى حية (مذكورة ومؤنثة) وجامدة، وللاسم فيها -إضافة إلى المرفوع والمنصوب والمجرور - ثلاث حالات أخرى (Instrumental, Ablative, Dative). ليس فيها حروف جر، ونجد لكل من الماضي والمضارع صيغتين مختلفتين، تعبر واحدة عن بداية الزمن والثانية عن استمراره ودوامه، ويعتمد بناء الجملة فيها على الاسم.

وفيما يتعلق بالأصوات فهي تقسم إلى أصوات معجمة واضحة اللفظ وأصوات مهملة يخفف لفظها أو يهمل. وصوت الراء فيها، على غرار الحورية واليونانية والفنلندية والأرمنية القديمة، يهمل تماماً، ويلفظ الشين سيناً.

وبشكل عام نجد فيها كثيراً من الرموز السومرية، والكلمات الأكديّة والحورية، كما نجدها متأثرة بنحو تلك اللغات ولاسيما في صيغ علامات الجمع والعلامات المحددة التي كانت تسبق كلمات معينة ذات إطار دلالي موحد.

يؤكد الباحثون الأوروبيون دوماً صلتها باللغات الأوروبية الحديثة، ولاسيما في مجال المعجم اللغوي، ويعرضون شواهد مقارنة تؤكد ذلك، مثل "ماء" watwr، "أداة" natta، "النفي" e-it، "يأكل" mallizzi "يرسم".

ولكن يبدو لي أنهم يبالغون في ذلك لأعراض معينة، ولا تخلو بعض مقارنتهم من التكلف، ولا أعتقد أن عدد الكلمات المتشابهة -أو لنقل المشتركة- كاف للحكم بذلك.

من الأمثلة على التكلّف في المقارنة أذكر من أيام الدراسة أن كلمة *laitrueun* التي تعني في الحثية "الشاهد" ومعناها في الأصل هو "الرابع" فسّرت ووضحت علاقتها مع الروسية على النحو الآتي: في الروسية تعني كلمة القاضي الثالث أيضاً، لأنه ثالث اثنين متخاصمين يقضي بينهما ويفصل. وكذلك في الحثية فالشاهد هو رابع ثلاثة هم المتخاصمان والقاضي!!

أعتقد أن اللغة الحثية نضجت وتكاملت جوانبها في بلاد الأناضول الآسيوية، ثم دونت فيها. وهي تجمع بين قليل من المظاهر اللغوية الهندو أوروبية القديمة، وكثير من المحلية الأناضولية الأقدم، وتأثيرات لعدد من لغات المنطقة المعاصرة لها كالسومرية والأكدية والهورية.

لقد تعرّف الحثيون على الكتابة المسمارية المقطعية - ذات الأصل الرافدي- في شمالي سورية^(٨)، وتبنوها، وسهّل ذلك عليهم إجراء اتصالات سياسية مع الممالك المجاورة، وقد استمروا يستخدمونها حتى نهاية مملكتهم في مطلع القرن الثاني عشر ق. م. ولكنهم أبدعوا في حوالي منتصف الألف الثاني ق. م. نظاماً كتابياً خاصاً يعتمد على الرموز التصويرية نقشوا به أختاماً ملكية ونصوصاً على منحوتات صخرية عُثر على كثير منها في موقع بازيليكايا بشكل خاص. وقد شاع هذا النظام الكتابي بشكل أساسي في بلادهم وشمال سورية بين ١٢٠٠-٧٠٠ ق. م.، وهي كتابات تدون من اليمين إلى اليسار، وتبدو مشابهة لنظم الكتابة الهيروغليفية المصرية، والكريتية، ولكنها ليست ذات صلة بها. وتسمى بـ الكتابات اللوفية الهيروغليفية^(٩).

تفيد النصوص الحثية ولاسيما المكتشفة في العاصمة ختوشا، في تشكيل صورة عن مظاهر تاريخهم الحضاري ولاسيما الديني، لأن القسم الأعظم منها دينية المضمون تقدم لنا وصفاً للطقوس والشعائر والاحتفالات الدينية وما كان يرثل فيها من أدعية وصلوات وما يقدم خلالها من نذور وأضاح.

لقد عبدوا كسائر شعوب الشرق الأدنى القديم عدداً كبيراً من الآلهة، وتحدثوا عن ألف إله في بلادهم!. وأبرز آلهتهم^(١٠)، إله الطقس السماوي Taaru الذي صورَ فنياً في هيئة ثور. وقرينته إلهة الأرض Wurunsemu، التي نعتت بـ: شمس أرينا، وملكة بلاد ختي وملكة السماء والأرض ومديرة السيادة الملكية، وسيدة العدالة الإلهية. ومن أبنائهما الإله Telipinu إله النبات والخضرة، وثمة أسطورة عن اختفائه عن الأرض وعودته إليها تذكر بما كان يحصل للإله دوموزي في بلاد الرافدين، وكذلك إله الطقس في نيريك، وإلهة باسم Nazzulla كانت للحرب وتذكر غالباً مع أمها Wurunsenu.

ومن آلهتهم أيضاً Estan إله الشمس والإلهة Inar الملاك الحامي و Lelwannis إله العالم السفلي و Hahnastita إلهة العرش والإله Wasezzili الذي يعني اسمه أو اسمها الأسد اللبوءة، وهناك آلهة الحب والجبل والنهر والنبع والنهار والليل والحبوب والقطيع وغيرها مما يتصل بالطبيعة والزراعة.

وقد تبنا عباد آلهة الشعوب المجاورة مثل زبابا، وتشميتم، الرافديين، وتبشوب، وخبات، وشرما، الآلهة الحورية.

وتبدو طقوسهم الدينية الاحتفالية ذات ملامح خاصة مرتبطة بالفكر الزراعي ارتباطاً وثيقاً ويظهر من تاريخهم السياسي أن الاهتمام بالحياة الدينية كان يختلف بين ملك وآخر.

ووصلنا منهم عدد من النصوص الأدبية أيضاً^(١١)، وقد تأثرت معظمها بأداب الشعوب المجاورة، ولم يكن لهم إلا عدد قليل من النصوص التي تبدو إبداعاً حثياً خالصاً. فقد أثر فيهم الأدب الحوري بشكل واضح ولاسيما في الأسطورة المسماة "ملكة في السماء"، وقد كشف باحثون عن تأثر الشاعر اليوناني هزيود (حوالي ٧٠٠ ق.م) ببعض ما ورد فيها عن الصراع بين أجيال الآلهة وظهر التأثير الحوري كذلك في أطول نص أدبي حثي كامل هو أسطورة "أنشودة أولى كومي".

كما لا يخلو الأدب الحثي من تأثيرات الفكر الكنعاني الأسطوري، ويظهر ذلك في عدد من النصوص القصيرة صعبة الفهم أبرزها نص عن الطلاق بين الآلهة، ملخصه أن الآلهة عشيرتو، تسعى إلى إغراء إله الطقس وإغوائه، لكنه يأبى ذلك، بل ويعلم بها بذلك، ولكن بناء على توجيه الزوج ينام معها ثم يحرقها. تغضب الإلهة وتهيج دب سبع سنوات ثم يوجهها زوجها لفعل الأمر نفسه مع إله الطقس لتروي ظمأها في الانتقام بالطريقة نفسها ولكن الإلهة عشتار تسمع بذلك فتحول نفسها بومة تطير تعلم إله الطقس بذلك، وتحذره^(١٢).

كما تأثروا بأدب بلاد الرافدين ولاسيما بملحمة جلجامش، التي وصلنا منها نص باللغة الحثية، وهو ليس ترجمة بل كتب بلغة وأسلوب خاصين، إضافة إلى أعمال رافدية أخرى.

ويمكن من خلال النصوص الحثية الاقتصادية الإدارية -وهي ليست قليلة- معرفة بعض مظاهر الحياة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية^(١٣). لقد حلت بهم مجاعات وظروف اقتصادية صعبة أحياناً، ويعود ذلك إلى محدودية المساحات القابلة للزراعة في كثير من مناطقهم بسبب طبيعتها الجبلية، واعتماد المناطق الأخرى على الزراعة البعلية، كان ذلك يدفعهم إلى القيام بحملات هدفها السلب والنهب إلى مناطق مغربية اقتصادياً ولاسيما المنطقة الشمالية من سورية وبلاد الرافدين.

كما كانت تلك الأسلاب وكذلك الضرائب التي يجنونها تساعد على تنشيط الحرف اليدوية في بلادهم، وقد تطورت منتجاتهم الحرفية، وتوصلوا إلى إبداع تقنيات جديدة في هذا المجال. وقد برعوا في مجال التعدين، لوفرة الفضة والنحاس وكذلك الحديد الذي عرفوه في وقت مبكر -منذ بداية الألف الثاني ق.م.- على خلاف شعوب المنطقة الأخرى. وقد صنعوا منه أدوات زراعية وأسلحة حربية وأدوات ترزنية، كما عرفوا صهره أيضاً، وفي مجال التجارة لم تكن لهم سوق تجارية داخلية متطورة،

وإنما يركزون على التجاره الخارجية التي تعود في بلادهم إلى زمن المراكز التجارية الآشورية القديمة. وقد كانت التجارة مرتبطة بالقصر الملكي، حيث يمارس التجار أعمالهم لصالحه ولتأمين حاجاته بطلب منه، ولذلك يوصفون بـ "تجار الملك"، ويعود ذلك إلى طبيعة النظام السياسي ذي الطابع العسكري الحريص على القبض على زمام كل الجوانب.

ويمكن وصف بنية المجتمع الحثي بأنه كان قبلياً إقطاعياً، ثم صار مع إنشاء المملكة الموحدة ذا طبيعة عسكرية ديمقراطية شكلياً. لقد كان نظام الحكم ملكياً وراثياً، وقد أدى ذلك إلى حصول نزاعات بين الأسرة الحاكمة والطبقة الأرستقراطية في البلاد.

كان الملك يعتمد على فئة كبيرة من الموظفين الممثلين لأوامره، وله قيادة الجيش وكذلك الزعامة الروحية الدينية فهو يمثل إله الطقس الإله الرئيس. صحيح أن الملوك لم يؤلهوا أنفسهم -مثل ملوك أكد وغيرها-، ولكنهم عدّوا من الآلهة بعد موتهم، فقدمت لهم مثل الآلهة -نذور وأضاح.

أدت الملكة دوراً هاماً في قيادة البلاد إلى جانب الملك، وبرز بعضهن بأدوار متميزة مثل تونانا، كما عمل الأمراء قادة لكتائب من الجيش. ولجأ الحكّام إلى الزواج السياسي وسيلة لتقوية الصلات مع القوى السياسية والعسكرية الأخرى.

ابتدع الحثيون نظام إقطاع الأراضي أو إلزامها للحكام الموالين لهم خارج البلاد كما في سورية الشمالية، وعقدوا معهم معاهدات تبعية جائزة مدونة باللغتين الأكديّة والحثية. وقد ضمنوا -بربطهم معهم اقتصادياً- موالاتهم ومساعدتهم والتزامهم بدفع ضرائب سنوية ثابتة لهم. وكان يتوجب على المقطع أن يتخلى عن حق ممارسة أي عمل سياسي خارجي دون أمر الملك، وألا يأوي الحثيين اللاجئين الفارين ويخفيهم وأن يرسل بين فترة وأخرى رسلاً محملين بالهدايا إلى القصر الملكي. وذلك مقابل تمتعه بالاستقلال الشكلي في بلاده وحرية التصرف بأراضيه بالأصل أراضيّه.

لقد دفعت الروح العسكرية لدى الحكام وضخامة عدد سكان البلاد والرغبة في تنظيم شؤونها وربط الأمور مع مركز قيادة البلاد إلى إصدار قوانين ومجموعات مراسيم مفصلة تتناول مسائل حياتية متنوعة، أهمها القانون الحثي^(١٤). الذي عثر عليه مدوناً في رقميين كبيرين، ويتألف من مئتي فقرة تتعلق بحالات القتل والضرب الإيذاء والسرقة والخدعة في الجيش وغيرها. وهي متأثرة بشكل واضح - في أسلوب صياغتها الشرطية (إذا حصل كذا وكذا فالعقوبة هي كذا) بالقوانين البابلية.

ويجد كذلك نص قانوني أصدره الملك تليينو (١٥٠٠-٤٧٥ ق.م.) يخص الأسرة الحاكمة وينظم عملية وراثة العرش ويضع أسساً لها. وقد دفعه إلى ذلك ازدياد الفتن والمؤامرات والاعتيالات ضمن الأسرة الحاكمة، فحاول بذلك وضع حداً لها^(١٥).

أما آثارهم الحضارية المادية فتشكل الشواهد المعمارية أبرزها ولاسيما المكتشفة في العاصمة ختوشا (بوغاز كوي، أو بوغاز كاله شرقي أنقرة)^(١٦). كانت المدينة مأهولة في نهاية الألف الثالث ق.م.، وكان فيها مركز تجاري آشوري قديم (كاروم) في القرن التاسع عشر ق.م. وفي حوالي ١٦٥٠ ق.م. اختارها الملك لابارنا عاصمة له، وسمى حفيده ختو شيلي (الأول) نسبة إليها.

يخترق المدينة رافدان لنهر بوداكوز يحصران بينهما المدينة السفلى وآثار المركز التجاري الآشوري والمعبد الكبير وقلعة المدينة وقصرها الملكي والقلعة الجنوبية. وفي جنوب المدينة (المدينة العليا) يوجد حصنان (الأزرق والجديد)، وعدد كبير من المعابد الصغيرة.

كانت قلعة المدينة الرئيسية محاطة بسور شبه بيضوي، بداخلها باحة محاطة برواق تحرسه تماثيل بازلتية ضخمة لأسود، كما ضمت القلعة قصرًا ملكيًا ضم غرفة خاصة بالرقم الطينية. أما المعبد الرئيس الواقع في أقصى الشمال فقد كان مخصصاً لإله الطقس والعاصفة، ويشبه في مخططة المعابد الرافدية، وهو محاط بسور قوي ذي

بوابات ثلاث. وكانت المعابد الثانوية العديدة في الجنوب منفصلة عن بعضها ولكل منها مخطط متميز عن الآخر.

وقد أحيطت المدينة بسور مزدوج في قسم كبير منه، وله سبع بوابات (البوابة الشمالية، الجنوبية، الغربية السفلى، الغربية العليا، بوابة الأسد، بوابة أبي الهول Sphinx، بوابة الملوك) وكانت عليها أبراج دفاعية.

وقد تميزت عمارة هذه الأبنية الرسمية في العاصمة بحجارتها الضخمة المنحوتة، ونوافذها الكبيرة، والاهتمام بجمالية الأعمدة والأروقة والمداخل التي نصبت فيها تماثيل منحوتة متنوعة.

وعلى بعد كيلومترين فقط في الشمال الشرقي من المدينة يقع موقع يازيليكييا، الذي توجد فيه مجموعة كبيرة من التماثيل الضخمة المحفورة على صخور، وتمثل مجموعة الآلهة الحثية.

لقد دُمّرت هذه المدينة "العاصمة" في مطلع القرن الثاني عشر ق. م.، ثم أعيد بناؤها جزئياً والسكن فيها في القرن السابع ق. م. عندما سيطر عليها الفريجيون، وصارت تسمى Pteria. وما زالت آثارها باقية، وأقيمت القرية الحديثة في الشمال الغربي منها.

أما العمارة الشعبية فقد ظهرت آثارها في مواقع عدة. ويلاحظ فيها أن البيوت كانت منظمة متجاورة، وأن المبنى الواحد كان مؤلفاً عادة من غرفتين أساسيتين كبيرتين تضاف إليهما عند الحاجة غرف أخرى، كما كان ذا طابقين يصعد إلى الثاني المخصص للسكن منها بدرج خشبي في طرف الأول المخصص للحاجات المعيشية، ويبدو أنه لم تكن هناك حاجة إلى وجود ساحات أمام المباني كما هي الحال في بلاد الرافدين. وقد استخدمت في بنائها الحجارة وكذلك الآجر.

في مجال الفن التشكيلي تميّزت بشكل خاص المنحوتات المجسمة والنافرة المحفورة في الصخور. وقد اهتم بها الحنثيون لارتباطها بالمجاليين الحربي والديني، فقد صوروا بها الانتصارات الحربية والمشاهد الدينية والأسطورية ووضعوها في مداخل المدن والقصور الملكية والمعابد. كما اهتموا بتشكيل تماثيل للمحاربين ركزوا فيها على إظهار قوتهم العضلية ولاسيما عضلات القدمين والركبة، ويظهر المحارب عادة وهو يحمل سلاحه على خصره، ويلبس عمامة متميزة تغطي رأسه وأذنيه، ويرتدي ثوباً قصيراً يصل إلى أعلى الركبة.

كما عثر على تماثيل معدنية برونزية ذات طابع ديني، تمثل غالباً المرأة في حالة الجلوس، وتحمل طفلاً أحياناً. تبدو أختامهم الأسطوانية متأثرة بالرأفدية والسورية، كما ظهرت التأثيرات السورية بشكل واضح في بعض الأعمال الفنية المصنوعة من العاج التي عثر عليها في موقعي عجم هويوك، وألاجه هويوك.

وفي سورية الشمالية خلال العصر البرونزي المتأخر يلاحظ استمرار التقاليد الفنية السورية الخاصة، مع الاستفادة من الاحتكاك والاطلاع على حضارات الشعوب المجاورة في خلق إبداعات فنية جديدة.

وتظهر بعض ملامح التأثير الحثي في الفن السوري آنذاك في مجال العمارة بشكل خاص، وذلك في بوابات أوغاريت الحجرية ذات الشكل الهرمي، ولكنها متميزة في طريقة صف الحجارة بشكل مائل وعقدها معاً في القمة ببليطة كبيرة، وكذلك في أنماط البيوت السكنية والأسوار الدفاعية كما في إيمار. ويحتمل وجود تأثير أكبر في عمارة موقع كركميش (جربلس) العائدة إلى ذلك العصر، ولكنها لم تكتشف بعد.

أما التاريخ السياسي للحنثيين فهو - رغم قصره الزمني - حافل بالأحداث، وقد تركّز الحديث هنا على ما يلقي ضوءاً على الصراع الحثي السوري وحملات الحنثيين على

المناطق السورية الشمالية، وذلك خلال العصر البرونزي المتأخر (١٦٠٠-٢٠٠٠ ق.م.).

يمكن تقسيم التاريخ الحثي إلى أربع مراحل أساسية، وهي:

١- المرحلة السابقة لتأسيس المملكة.

٢- المملكة القديمة.

٣- المملكة الوسطى.

٤- المملكة الحديثة.

تضاف إلى ذلك مرحلة خامسة هي التالية لانهدار المملكة أي مرحلة الألف الأول ق.م.

ما زالت المرحلة الأولى غير واضحة تماماً. إذ يبدو أن نزاعات حصلت بين المراكز الحضارية في بلادهم، وظهر خلال ذلك وجهاء زعماء سمّوا أنفسهم بـ "الأمراء العظام"، الذين وحدوا التابعين لهم، وخلقوا لمراكز وجودهم حدوداً خاصة. وفي تلك الفترة كان التجار الآشوريون يجولون في بلاد الأناضول، ويؤسسون مراكز تجارية خاصة. وصلتنا من تلك المرحلة رسالة لـ (أنوم خربه) حاكم مدينة ماما -التي يعتقد أنها تطابق موقع Göksün جنوب شرقي كانيش- إلى ورشاما حاكم كانيش ويرد اسم صاحب الرسالة هذه في نص لشلمنصر الثالث -أي بعد الرسالة بحوالي ألف سنة-، ونعلم من النص أن أنوم خربه كان من أبرز حكام تلك البلاد في عهده (في حوالي ١٨٠٠ ق.م.)^(١٩).

كانت مدينة كُشَار من المدن الهامة على طريق القوافل التجارية الآشورية، وكانت تتبع لحكمها مدن أخرى. وقد استفاد حكامها من الضرائب التجارية، وأصبحوا أغنياء وذا جيش قوي. ومن أبرزهم بينخانا وابنه أنيتا. وثمة نص ينسب إلى الابن، يتحدث

فيه عن حملات وفتوحات عسكرية قام بها أبوه ضد مدن المنطقة مثل نيسا/ كانيش، التي عاملها كمدينة مقدسة ثم نقل مركزه إليها. أما هو فقد حاول توحيد أجزاء البلاد، وقهر تحالفاً بين حاكمي ختوشا وزلّبا (الأجّه هويوك شمال ختوشا)، وأعلى مكانة نيسا دينياً وسياسياً. وقد عاصر بزوغ نجم ملك آشور الأموري شمشي أدد الأول ثم انهيار قوته التي لم يستطع أبناؤه الحفاظ عليها، فأنهى المركز التجاري الآشوري في كانيش في أواخر القرن الثامن عشر ق.م.

بعده قام أحد خلفائه بعبور جبال طوروس إلى الجنوب، وقام أحد القادة العسكريين بحصار مدينة أورشوم (شمال حلب وغرب كركميش)، ويرد في النص الذي يروي أخبار الحصار أن حاكم حلب أرسل إلى القائد العسكري قوات للمساعدة. ولا يبين النص نتائج ذلك^(٢٠). ولكن هناك نصان قصيران^(٢١)، يذكران تغلغل قائد القوات الحلبية واسمه زكراشي Zakraši في بلاد الأناضول، ونشوب حرب ضده أدت إلى جرحه وقاتله. وزكراشي هذا يذكر في نصوص الآلاخ^(٢٢)، وهو على الأرجح من الجيل التالي لحمورابي حلب، ويعود إلى حوالي ١٦٧٠ ق.م.

في هذه الفترة (أواسط القرن السابع عشر ق.م.) انتقلت السيادة في شمالي غربي بلاد الرافدين إلى الحوريين، الذين بدأوا يتوسعون غرباً في شمال سورية. وبذلك صاروا يشكلون خطراً على حكام بلاد الأناضول ويهددون علاقاتهم التجارية مع بلاد الرافدين ومصر عبر سورية.

أما المرحلة الثانية مرحلة المملكة الحثية القديمة فتبدأ حوالي ١٦٠٠ ق.م. عندما ظهر من أسرة كُشّار حاكم قوي عرف باسم لابارنا (ومعناه السيد). لقب نفسه بـ "الملك الكبير"، واهتم بمدينة ختوشا ومنطقتها، ووسع مناطق نفوذه (من بحر إلى بحر) كما يرد في نص لخليفته^(٢٣)، أي من البحر الأسود إلى الأبيض المتوسط، ونظم البلاد في مقاطعات، عيّن في الجنوبية منها (شمال سورية) أبناءه وأقارب له حكّاماً عليها. ولعل

ذلك دليل على وجود مخاوف من حكام الدويلات السورية، وتعاون سكان المقاطعات الجنوبية معها. وفي أواخر حياته أصدر مرسوماً سمي فيه ابنه أو ابن صهره -الذي سماه في المرسوم لابارنا أيضاً- وريثاً له، وقد عرف فيما بعد باسم ختوشيلي (الأول).

في عهده صارت ختوشا مركزاً للحكم، وفي ذلك -إضافة إلى صلة اسم الملك باسم المدينة- إشارة إلى أن المدينة وهي مكان ولادته أو إقامته. قام بحملات عدة شملت معظم المناطق؛ أشهرها حملة على مدينة زلبا الشمالية (الأجه هويوك). فقد كانت إحدى بنات الملك متزوجة من حاكمها أو أحد أبنائه؟ وقام أحد حراس جناح النساء بقتلها^(٢٤). فكان قرار الثأر من المدينة، التي تتالت عليها الحملات حتى أبيد سكانها ودمرت.

كما قام بحملة على شمال سورية، واحتل الآلاخ، ويدّعي في تقرير حربي له أنه دمرها^(٢٥)، ولكن يرجح أن ذلك تعبير مجازي، فآثار الطبقة الأثرية المعاصرة للحدث (ط^١) لا تشير إلى دمار حقيقي^(٢٦). وباحتلاله الآلاخ التابعة لحلب فقدت حلب واحدة من أهم مراكزها العسكرية القريبة من المملكة الحثية. كما هاجم أورشوم شمال حلب ونهبها مع مدن أخرى صغيرة هناك. وقد كان هدفه من ذلك ملك حلب الذي كان يقود تحالفاً يضم عدداً من حكام سورية الشمالية، ومعظمهم حوريون. وعندما انشغل ختوشيلي بعدها بسنوات، بحملات في المناطق الجنوبية الغربية (أرزاوا) تغلغل الحوريون في مبلاده، واستسلمت لهم مدن كثيرة، ووصلوا حتى غرب أنقرة. ولكن ختوشيلي تراجع بسرعة من منطقة أرزاوا، وحاول أن يحاصر الحوريين ويقطع عليهم طريق الانسحاب، فأدرك الحوريون ذلك، فراجعوا بسرعة وحصلت معارك بينهم في المناطق القريبة من شمال سورية.

كما تذكر تقاريره أنه توجه في السنة السابعة من حكمه إلى Haššuwa التي تعرف من وثائق ماري أنها كانت في المنطقة الفراتية الواقعة بين كركميش وسمساط^(٢٧). ويذكر أن حاكمها تحالف مع حلب، وواجهه مع قوات حلبية في هضاب أدالور، ولكنه يقول: "لقد عبرت نهر Pyramus (سيحون؟) كأسد، وضربت خشوا كأسد"^(٢٨)، ثم دخلها ونهبها وحمل منها أسلاباً كثيرة. كما قام في السنة التالية بحملة على مدينة Hahhum القريبة من سمساط - وقد كانت هذه المدينة من المراكز الأساسية لتجارة الذهب - ويقول بأنه أحرقها وربط ملكها أمام عربته.

وفي أواخر عهده قام بحملة على حلب لم يحقق فيها نجاحاً هذه المرة، فقد جرح في الحرب جرحاً قاتلاً، فنقل إلى مدينة كشار العاصمة الأولى. وهناك دعا كبار رجال المملكة أو مجلس الأشراف (بانكو) للاجتماع، وعيّن حفيده الفتى مورشيلي وريثاً له، وطلب من مستشاريه أن يربوه تربية قاسية، فلا يأكل سوى الخبز ولا يشرب سوى الماء، وعندما يشب يأكل طعاماً جيداً ويشرب خمراً. ويأمل منه أن يكون وريثاً محباً لسفك الدماء^(٢٩). وكأنه يوحى له بضرورة الانتقام من أهل حلب.

ولذلك كانت أولى أعمال مورشيلي (الأول) عندما استلم عرش المملكة احتلال حلب وتدميرها^(٣٠)، كما استمال عصابات الخابيرو والمرتقة لممارسة أعمال تخريبية في سورية، ونجح في تقليص النفوذ الحوري في المناطق القريبة من الفرات، وتابع سيره حتى بابل واحتلها وأنهى حكم سلالة حمورابي الأمورية فيها، وأخذ منها غنائم كثيرة، ولاسيما تماثيل الآلهة، وكان قبلها قد نقل تماثيل آلهة حلب إلى مدينتي ختوشا العاصمة وساموخا (كرشهر قرب ملطية). ولم يطل وجوده في بابل لبروز الخطر الحوري على بلاده^(٣١).

خلال غيابه المتكرر عن قصره وبيته، كانت زوجته قد سلمت نفسها لـ "خانتيلي" أحد أفراد حاشية القصر وأنجبت منه^(٣٢). فأعد خانتيلي - مع صهر الملك المدعو زيدانتا -

له استقبالا غير منتظر. لقد قتلاه عند وصوله. ثم تزوج خانتيلي الملكة الأرملة واستلم العرش دون أن يحمل لقب "ملك". اضطربت البلاد في عهده، وتراجعت القوات الحثية عن كثير من المدن الواقعة على حدود سورية الشمالية مثل أشتاتا (إيمار) وكركميش وخوربانا. واستطاعت حاكمة حثية تتمتع بمدينتها Sugziya بالاستقلال -لوقوع مدينتها في سهل ضمن سلسلة جبال طوروس شمال منعطف الفرات يصعب الوصول إليه- أن تقبض على الملكة الخائنة وتأسرها وماتت هناك بطريقة ما، فثار لها خانتيلي وقضى على حاكمة Sugziya وأبنائها.

استغل الحوريون هذا الوضع ودعموا نفوذهم في شمال سورية، وازداد وجودهم في غرب الفرات ولاسيما في مملكة حلب. وإلى هذه الفترة يعود النقش الكتابي المطول الموجود على تمثال أدريمي ملك الآلاخ وموكيش الذي فرّ من حلب إلى أخواله في إيمار فلم يلق حياة عزيزة عندهم فانتقل إلى بلاد كنعان عبر البادية، وبقي هناك فترة من الزمن طامحا إلى مساعدة مصرية للعودة إلى عرش الآلاخ. وقد تحقق له فيما بعد، وعاد إلى حكمه تحت سيادة الملك الحوري برترنا. ونعلم أن أدريمي اشترك معه في الحرب ضد الحثيين في مناطق كليكية وغرب الفرات^(٣٣).

وعندما أصبح خانتيلي عجوزا واقترب من الموت -كما جاء في نص كتابي^(٣٤)- قتله زيدانتا ابن زوجته وأبناءه وتسلم العرش، ولكن حكمه لم يدم سوى شهور عدة. لأن ابنه آمونا الذي شبّ لم ترضه أفعال أبيه الذي شارك في قتل جدّه وقتل جدّته، فقتل أباه بيده، وآل الحكم إليه، وضعفت المملكة في عهده، وكثرت التمردات، ومات بشكل مفاجئ بعد حكم حوالي سنتين فقط، ثم انتقل إلى خوزيا الذي لا نعرف صلته مع الأسرة الحاكمة، فلم يستطع أن يدير البلاد طويلا، وخلفه حموه تيلبينو^(٣٥)، الذي أنهى مسلسل الأحداث الدموية في القصر وذلك مع بداية القرن الخامس عشر ق.م.

أراد تيليبيو تحقيق الهدوء وإغناء الروح الدينية في البلاد، وأصدر قانونه الدستوري الشهير^(٣٦)، الذي وضع فيه نظاماً محدداً لوارثة العرش، وأفسح مجالاً للديمقراطية. كما اهتم بالقوة العسكرية، وقام بحملات على خشوّا والجش جش في الشمال وكيزوّفانتا في مناطق كليكية، وضعفت في عهده الصلات مع منطقة شمال سورية التي شهدت صراعاً بين الحوريين والمصريين، فقد وصل تحوتمس الثالث حتى منعطف الفرات وانتزع مناطق كثيرة من السيادة الحورية.

المرحلة الثالثة (المملكة الوسطى) مرحلة انتقالية قصيرة دامت حوالي قرن من الزمن، تفاصيلها غير واضحة تماماً. حكم خلالها خمسة ملوك أشهرهم توتخاليا (الثاني) الذي كان حوري الأصل. لقد حارب الحوريين بضراوة، وتروي النصوص أنه أسر سبعة آلاف محارب منهم، ونقلهم إلى عاصمته. كما هاجم حلب وأرغمها على العودة إلى السيادة الحثية.

وفي معاهدة عقدت فيما بعد بين الملك مورشيلي (الثاني) وملك حلب استرجاع لأخبار عهد توتخاليا هذا وزعم بأنه دمر حلب، ولكن يعتقد أنه لم يكن تدميراً حقيقياً.

في آخر هذه المرحلة حكم توتخاليا (الثالث) الذي تمزقت البلاد في عهده، وثارت عليه كل مناطق أطراف المملكة الداخلية، وكذلك الحوريون الذي عبروا الفرات، واحتلوا المناطق الجبلية غربه، ولم تبق للملك سوى منطقة صغيرة كثيفة السكن بين بحيرة الملح وجانبي نهر الهاليس.

وفي هذه الأثناء بدأ التحرك المصري بعقد صلات مع منطقة أرزاوا الساحلية. في رسالة من تل العمارنة^(٣٧)، نقرأ أن أمنحوتب الثالث طلب يد ابنة ترخندا رابا ملك أرزاوا، وأرسل له هدايا كثيرة ثمينة مع رسوله علّه يوافق ويرسل ابنته. كما استلم رسالة استلم بلغة أهل أرزاوا^(٣٨). ولا ندري أتحققت رغبته؟.

لم يستطع الملك الحثي السيطرة على الوضع السيئ، (ولم يكن بطاش كما وصفه ختوشيلي الثالث فيما بعد^(٣٩))، ولم تجد محاولات بعض القادة العسكريين في إنقاذ البلاد، حتى يزوغ نجم ابن الملك شوبيلو ليوما^(٤٠)، الذي تتالت نجاحاته العسكرية، واستحق وراثته العرش رغم أنه لم يكن الوريث الشرعي. وقد استطاع أن يعيد للملكة أمجادها، وبحكمه تبدأ مرحلة المملكة الحثية الحديثة التي استمرت حوالي قرنين.

لقد كان شوبيلو ليوما محارباً بارعاً ينتقل من ساحة إلى أخرى ورجل دولة ناجحاً وحاكماً عادلاً، سعى إلى إخماد المقاومين التقليديين للمملكة في جميع الجهات، كما اهتم بأعمال البناء والتحصين وتنظيم الشؤون الداخلية. وفي عهده يتردد ذكر السوتيين في النصوص - وهم من بدو الفرات الأوسط يعتنون جزءاً من أسلاف الآراميين -، فقد حارب مجموعات منهم كانت قد تغلغت في مناطق الفرات الأعلى.

في بدايات حكمه توجه إلى الجنوب واحتل المعابر المؤدية إلى شمال سورية، ثم تابع مندفعاً لقمع تمرد ضد سيادته في مدينة أرماتينا *Armatena* التي يبدو أنها في شمال الساحل السوري. وفي طريقه حارب كركميش و حلب وأوغاريت ونوخشي (بين حلب وحماة في جهة البادية) و كينزا (قاديش)^(٤١). ولم يكن هدفه الاستقرار في سورية بل الحصول على اعتراف دويلاتها ومدنها بقوته وتحصيل الضرائب منها.

في النصف الثاني من حكمه استفاد من خلافت داخل القصر الميثاني، وساعد متعاونين معه في تولي الحكم، فضمن جانبهم مما جعله بمأمن من الخطر الأشوري المتزايد، كما عقد صلات مع بابل وتزوج (المُترَمِل مرتين!) من أميرة بابلية (تدعى Tawananna) غدت فيما بعد ذات شأن^(٤٢).

وقام بحملة جديدة على سورية واحتل في باديتها مدينة حلب، ونصب ابنه الكاهن تلبينو حاكماً عليها، ثم موكيش، وقابله حاكم نيا (على العاصي، سهل الغاب) بالاستسلام له ثم Arahti فقطنا. وسار ملك أوغاريت (نقميا) لمقابلته، وسجد أمامه طالباً العفو لأنه

لم يشاركه في حملته هذه كما طلب منه في بداية الحملة واعداً إياه بتوسيع المناطق التابعة له، فعفا عنه، وعقد معه معاهدة جديدة وألزمه بدفع جزية أكبر^(٤٣). ثم أخضع نوخشي وبذل حاكمها^(٤٤)، وعاد إلى الجنوب متوجهاً نحو بلاد أبيننا (حوالي دمشق)، وفي طريقه احتل كينزا. ويقول في خاتمة تقريره السنوي عن حملاته هذه مفتخراً: (لقد أنجزت كل هذا في عام واحد).

لقد ترك مراقبة الشؤون السورية لابنه تلبينو حاكم حلب، وعاد إلى بلاده.

في السنة التالية حصلت تبدلات سياسية في سورية. فقد فوجئ تلبينو بهجوم ضخم للسوتيين، ادعى فيما بعد أنه ردهم، ثم سافر إلى أبيه ليشرح له الأوضاع، ويطلب المساعدة. وكانت فترة غيابه عن حلب فرصة استغلها الحوريون الميثانيون والمصريون للهجوم على المناطق التابعة له من الشرق والجنوب. فنظم الملك الحثي حملة جديدة على سورية وصلت قواتها حتى مناطق دمشق وحاصر كركميش واحتلها بصعوبة وكلف أحد أبنائه (شرّي كوشوخ) بحكمها.

في تلك الأثناء مات ملك مصر توت عنخ آمون. وكانت أخبار الانتصارات الحثية في سورية تصل إلى هناك. وتروي لنا رسالة من أرشيف ختوشا^(٤٥) أن شوبيلو ليوما فوجئ بوصول رسول مصري أرسلته الملكة المصرية الأرملة نقل إليه رجاءها بأن يرسل إليها أحد أبنائه ليكون زوجاً لها كي لا تضطر إلى الزواج من أحد خدمها، بعد انقضاء فترة الحداد (سبعين يوماً). خشي الملك أن يكون ذلك خدعة، فأرسل جواسيس له للتقصي. وبعد فترة عادوا، وعاد الرسول المصري ناقلاً لوم الملكة على ذلك التفسير السيئ لرغبتها الحقيقية وتأكيدها على أنه لا يوجد في البيت الملكي المصري حيّ واحد يمكن أن تتزوجه، وأنها لم تعرض رغبتها على أي ملك آخر، ... فأرسل الملك ابنه زانزا Zannazas؟ مع الرسول للزواج والسيادة على العرش المصري.

وفي العام نفسه لجأ إليه كورتي وازا وريث العرش الميتاني في وشوكانى طالباً مساعدته ضد معارضيين في القصر^(٤٦)، فزوجه شوبيلو ليوما. ابنته، ووجه حاكم كركميش لمساعدته في العودة إلى حكم مملكة ميتاني ومراقبة المنطقة الفراتية بين أشتاتا (ايمار) وترقا. وشعر الملك الحثي بأنه بات السيد الأوحد في المنطقة؛ فمصر ستكون في يد أمير حثي وميتاني محكومة بإشرافه. ولكن المفاجأة أيقظته من حلمه؛ فقد قتلت المعارضة المصرية ابنه قبل أن يفوز بالعرش، فثار وقام بحملة للثأر. عبر سورية إلى فلسطين فجنوبها حيث مناطق السيادة المصرية، ولكنه اضطر مرغماً إلى التراجع بسبب وباء انتشر بين محاربيه.

وفي مملكة ميتاني جابه ابنه وصهره مقاومة شعبية مؤيدة للملك الميتاني المنافس (شوتا ترنا) ولم يكن سهلاً عليهما دخول العاصمة وشوكانى. ثم جاءت قوات آشورية لمساعدة شوتا ترنا، واضطر الحثيون إلى التراجع أيضاً. ثم انقطعت أخبار هذا الملك المتميز بين ملوك الحثيين حتى وفاته.

في عهد ابنه الأكبر ووريثه أرنو فندا (الثاني)، الذي حكم فترة قصيرة (٣ سنوات) لا نجد أخباراً عن سورية. وتنازل ابنه حاكم كركميش (شري كوشوخ) عن حقه في وراثة العرش لأخيه الأصغر مورشيلي (الثاني) الذي حكم حوالي ثلاثين عاماً (١٣٤٩-١٣٢٠ ق.م.).

لقد حارب أيضاً في جبهات عدة، واهتم بإحياء الحياة الدينية التي أهملها أبوه في سنواته الأخيرة. وفي سنته السابعة حصل تمرد ضده في نوخشي استطاع حاكم كركميش السيطرة عليه. وبعدها خلال مشاركته في احتفالات لتشييع موتى وباء انتشر في مدينة كوماني، مدينة الإلهة خبات، جاءه خبر انتفاضة جديدة في نوخشي، فتوجه لقمعها، وضرب خلال حملته مدن حلب وكينزا وأشتاتا. ونصب في حلب ملكاً جديداً بعد موت تلبينو^(٤٧)، ودعاه للتوقيع على معاهدة يقر فيها بعدم محاولة الاستقلال عن

الحكم المركزي، رغم أن الملك الجديد كان ابن أخيه. والمفيد في نص هذه المعاهدة أنه بدأ بلمحة عن علاقة حلب منذ القديم مع المملكة الحثية^(٤٨).

لم يكن سهلاً عليه تهئية الأوضاع والسيطرة عليها في سورية. وآخر أخبار المدن السورية في تقاريره هي موافقته على استقلال حاكم سيانو. والأرجح أنه أحس بصعوبة السيطرة عليها فأهمل التفكير بالسيادة عليها وتركها تحكم نفسها، وانصرف إلى الاهتمام بشؤونه الداخلية والحياة الدينية.

تسلم العرش بعده ابنه مونلي (١٣٢٠-١٢٩٠ ق.م.) الذي اشتق اسمه من لقب إله الطقس. لا نعلم تفاصيل أخبار عهده لأنه نقل العاصمة من ختوشا إلى دناسا في منطقة نهر خولايا ولم تكتشف بعد، ولذلك لم يصلنا أرشيفه الملكي. يبدو من أخباره المذكورة في وثائق حثية تالية^(٤٩). وفي الكتابات المصرية على جدران معبد أبي سنبل في النوبة أن أبرز أحداث عهده كانت معركة قادش (تل النبي مند) التي واجه فيها الجيوش المصرية بقيادة رمسيس الثاني (في حوالي ١٢٩٩ ق.م.).

كانت هذه المعركة^(٥٠) نتوجاً لمحاولات مصرية سابقة (في عهد ستي الأول) للتوسع في مناطق النفوذ الحثي في شمال سورية. ولكن رمسيس الثاني هاجم بقوة أكبر، وسار بحملته في الشريط الساحلي حتى سيميرا (تل الكزل). وقابله بالملك الحثي وحصلت المعركة في قادش، وقد دونت أخبارها بالكلمة والصورة بشكل مفصل، ولا نعرف تفاصيل نهايتها، ولكن رمسيس الثاني يدعي أن الحثيين عرضوا عليه اتفاقاً لوقف الحرب، كما يقر بتخلي قواته عنه خلال هجوم حثي مفاجئ. ونعلم أن الحثيين توغلوا إلى جنوب قادش حتى مناطق دمشق، وهم الذين عينوا حاكماً جديداً في أمور مما يوحي بتفوقهم. ولكن ذلك لا يعود على الأرجح إلى القيادة الناجحة للملك الحثي مونلي الذي (لم يكن رجل أفعال بل محباً للطبيعة) كما تذكر النصوص اللاحقة! بل إلى أخيه ختوشيلي الثالث ومساعدة كثير من المدن السورية له.

بعده استلم ابنه مورشيلي الثالث العرش وتفرّد عمه ختوشيلي الثالث ببعض المناطق المهمة، ومع الزمن ظهر الصراع بينهما وتمكن العم الخبير بشؤون الحرب والإدارة من الانتصار عليه في معركة بينهما، وحاصره في مدينة ساموخا، ثم أسره وأعلن نفسه ملكاً.

أبعد ختوشيلي الثالث الملك المخلوع إلى بلاد نوخشي في سورية. حاول مورشيلي أن ينتقل إلى بلاد بابل للاتفاق مع ملكها ضد عمه، ولكنه أخفق، وأبعد إلى الساحل السوري، ومن هناك هرب إلى مصر. ونعلم بعدها أن ختوشيلي الثالث حاول تحسين العلاقات مع مصر وأشور وبابل، وقاد حملات داخلية عدة اعتمد فيها على ابنه لكبر عمره، وعندما مات تولى العرش ابنه توتخاليا الرابع (١٢٦٥-١٢١٥) الذي حكم أطول مدة بين ملوك الحثيين (٥٠ عاماً).

كان توتخاليا فتى ذا تجارب حربية سابقة، وقد شاركته أمه في شؤون الحكم في أول عهده. وبرزت ضده أخطار داخلية كثيرة، ولكن الأصعب من ذلك هو بدء الصراع الآشوري الحثي في عهده، فقد بدأ الملوك الآشوريون بدءاً من توكولتي الأول- يهاجمون المقاطعات الحثية في مناطق الفرات، ويذكر الملك الآشوري في إحدى حولياته أنه أجلى منها ٢٨,٨٠٠ حرفي حثي إلى عاصمته آشور^(٥١). وقد دفع ذلك الملك الحثي إلى أن يفرض على حكام المقاطعات السورية التابعة لنفوذه عدم إقامة أية علاقات تجارية مع آشور وعدم السماح بوصول أية مواد إليها عبر الساحل السوري من قبرص وغيرها (ولاسيما النحاس)؛ ويعدّ قراره هذا من أقدم الشواهد على سياسة الحصار أو الحظر الاقتصادي^(٥٢).

ولتحقيق ذلك بدقّة حسن علاقاته مع حكام سورية، كما كانت علاقاته حسنة مع مصر إذ تروي النصوص أن مصر زودته في سنة قحط (١٢٣٦-١٢٣٥ ق.م.) بسفن مليئة بالحبوب.

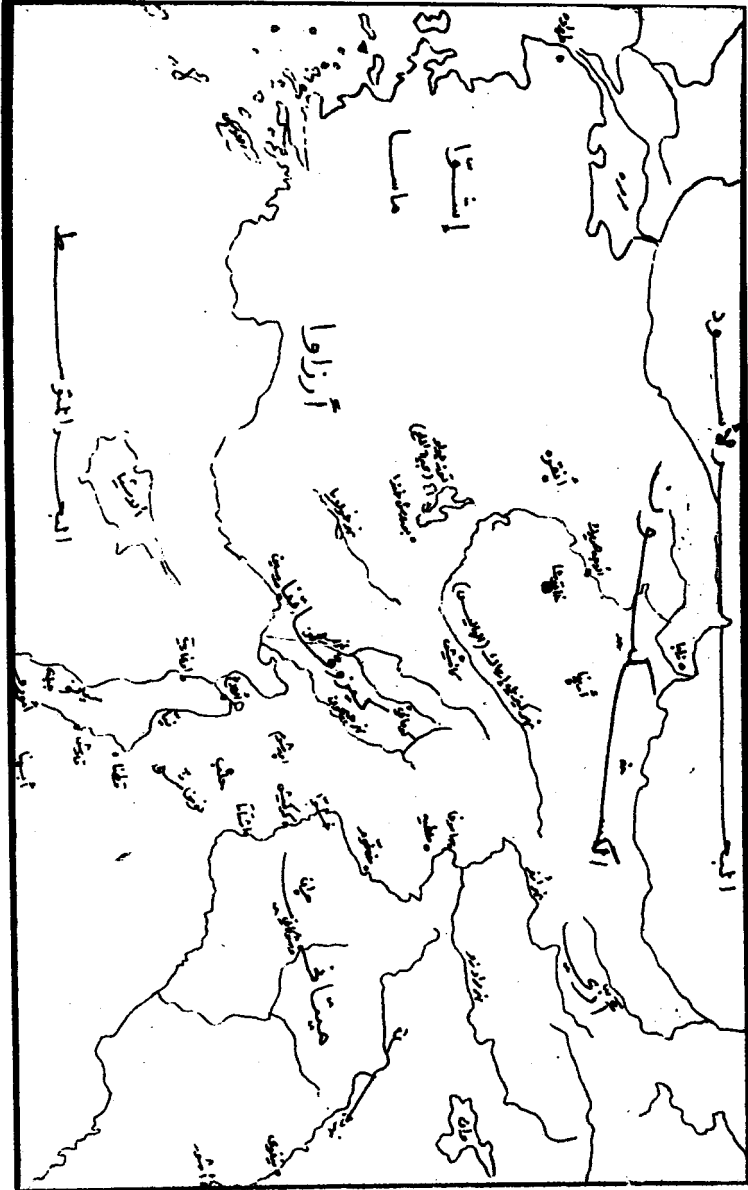
عرف عنه اهتمامه بالحياة الدينية وبناء المعابد والقصور. وفي أواخر عهده وصل الإغريق إلى طروادة وتوزعوا في مناطق الساحل الشمالي الغربي.

بدأ أفول المملكة الحثية في عهد ابنه ووريثه أرنو فاندنا (الثالث) (١٢٢٠-١٢٠٠ ق.م.) حيث تأثرت بتغلغل الإغريق، وانفصلت المقاطعات البعيدة عن العاصمة، ونشبت حروب داخلية أفقدت العاصمة هيبتها، واستمر ذلك في عهد أخيه شوبيلو ليوما (الثاني) (١٢٠٠-١١٩٦ ق.م.)، ولكنه استطاع أن يحسن الأوضاع قليلاً، وتحدث تقاريره عن انتصاره على قبرص (الآشيا). ولكن ازدياد تغلغل المجموعات البشرية التي تسمى في النقوش المصرية بـ "شعوب البحر" وهجومها على بلاد الأناضول وسورية الشمالية أنهى الكيان السياسي للحثيين.

في الألف الأول ق.م. برزت مملكة تبّل بين الهالس، وطوروس، وريثة للمملكة الحثية. كما تحدثنا النقوش الآشورية والفينيقية والآرامية والحثية الهيروغليفية (اللوفية) وبعض المصادر الكلاسيكية عن إمارات صغيرة كثيرة العدد ظهرت، وتسمى في الدراسات بالإمارات الحثية الجديدة أو المتأخرة، ومنها قوّ (حوالي أضنة)، ملد (ملطية)، كوموخي (كوما جيني)، جرجم (حوالي مرعش)، خيلاكو (شمال غرب كليكية).... ولم تكن هذه الإمارات قوية، فكانت تتبع للآشوريين والآراميين، ثم خضعت في القرن السادس/ للسلالة الإيرانية الأخمينية/ فالإسكندر^(٥٣). وقد عثر على أهم أثر هذه المرحلة في سورية في كركميش. وعين دارا وغيرها من مواقع شمال سورية. ودراسة تاريخ هذه المرحلة وآثارها الحضارية يحتاج إلى بحث مستقل متمع.

القرن	ق.م.	
قبل تأسيس	١٩	المراكز التجارية الآشورية (مدينة)
المملكة	١٨	بيتخانا
الحنثية	١٧	أنيثا
المملكة القديمة	١٥	لابارنا
		ختوشيلي الأول
		مورشيلي الأول
		خاتيلي
		زیدانتا
		أمونا
		خوزيا
المملكة الوسطى	١٤	تلبيو
		ألومنو
		تخور ويلي
		توتخاليا الثاني
		أرنو وندا الأول
المملكة الحديثة	١٣	توتخاليا الثالث
		شوبيلو ليوما الأول
		أرنو وندا الثاني
		مورشيلي الثاني
		موتلي
		مورشيلي الثالث
		ختوشيلي الثالث
		توتخاليا الرابع
		أرنو وندا الثالث
	١٢	شوبيلو ليوما الثاني

(الملوك الحثيون)



بلاد الحنثيين ومناطق توسعهم

المصادر والمراجع والحواشي

(١) من معاني الاسم "حتي" في اللغة الأكديّة الرعب والهلع وكذلك الضرب والقمع.

راجع معجم اللغة الأكديّة: w.VON Soden: AHW. P. 336.

F. Cornelius: **Geschichte der Hithiter.** (٢)

Darrnstadt, 4. Auflage, 1990, p. 40

Ibid. p. 38ff. (٣)

(٤) لقد كشف عن عدة نسخ من هذا النص المدون باللغة الأكديّة وذلك في تل

العمارنة بمصر وأشور ونيوى في العراق، إضافة إلى نسخة معدلة عنها مدونة باللغة الحثيّة وذلك في بوغازكوي بتركية، وقد نشرت جميعها وتناولتها بالدرس

أبحاث عدة. راجع أحدث ترجمة للنص في: B.R. Foster: **Before the Muses. An Anthology of Akkadian Literature.** CDL Press. Bethesda, Maryland 1993, Vol. I, pp.250 - 256.

Ibid. pp. 262-269 (٥)

(٦) المرجع رقم (٢) ص ٤٤. وكذلك الحاشية ٩ (ص ٢٩٢).

(٧) يعتمد العرض الموجز عن اللغة الحثيّة.

H. Klengel: **Kulturgeschichte des alten Vorderasien.** Akademie-Verlag. Berlin 1989, pp.234-234.

ولمعرفة المزيد عنها يفضل مراجعة:

J. Friedrich, E. Reiner; A. Kammenhuber; G. Neumann; A. Heubeek: **Alt kleinasiatische Sprachen. in: Handbuch der Orientalistik, I. Band 2.** Leiden-Köln 1969.

(٨) راجع: H. Klengel: **Kulturgeschichte.** P.235

(٩) راجع: W.von Soden: **Einführung in die Altorientalistik.**

WB Dafmstadt 1985, p. 35.

(١٠) راجع الفصل الخاص بالديانة الحثية والهورية في:

H. W. Haussig (Hrsg.): **Götter und Mythen im Vordern Orient**. Stuttgart 1965.

(١١) عن الأدب الحثي راجع:

H. G. Güterbock: **Hithitische Literatur**. in: W. Röllig (Hrsg.): **Altorientalische Literaturen**. Wiesbaden 1978. p. 211-254

(١٢) راجع: H. Klengel: **Kulturgeschichte**, p. 250

(١٣) Ibid, pp. 238-244

(١٤) انظر ترجمته في: توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، دار دمشق، دمشق ١٩٨٥، ص ٣٠٧-٣١٠.

(١٥) المرجع نفسه، ص ٢٧١-٢٧٤.

(١٦) عن أهم الشواهد والمكتشفات الأثرية في ختوشا (بوغازي كوي) راجع:

M. Roaf: **Cultural Atlas of Mesopotamia and Ancient Near East**.

Facts on File, Oxford 1990, p. 144ff.

وعن الفن الحثي بشكل عام راجع: H. Klengel: **Kulturgeschichte**, pp. 252-266.

(١٧) يعتمد البحث في عرض تاريخ الحثيين السياسي في خطوطه العامة على

الكتاب: F. Cornelius: **Geschichte der Hithiter**.

(١٨) نشر الرسالة الباحث التركي كما بلكان، راجع:

K. Balkam: **Letter of Anurn-Hirbi of Mania to King Warshama of Kanish**. Ankara 1957.

(١٩) F. Cornelius: **Geschichte der Hithiter**. p. 81

(٢٠) هو النص الحادي عشر في المجلد الأول من نصوص بوغازي كوي

المسمارية، راجع: H. H.Figulla; E. F. Weidner **Keilschrifttexte aus**

Bogazköi. WVD OG 30/I. Leipzig 1916

(٢١) اكتشف النصان في بوغازي كوي، وهما منشوران ضمن نصوصها. راجع:

KUB 36,100-102. KBo 7,14.

(٢٢) راجع سرد أسماء الأشخاص المذكورين في مجموعة نصوص آلالاخ، وذلك

في: D. J. Wisetnan: **The Alalakh Tablets. London 1953, p.153.**

(٢٣) **Fischer-Woltgeschichte. Band 3, Frankfurt am Main, 1966; p.115f**

(٢٤) اعتماداً على ما جاء في النص: **KBo III 38**

(٢٥) اعتماداً على ما جاء في النصين: **KBo X, 1, 1, 6. KBo X, 2, 1, 15**

(٢٦) راجع: ليونارد وولي: آلالاخ مملكة منسية، ترجمة فهمي الدالاتي، منشورات

وزارة الثقافة دمشق، ١٩٩٣، ص ٨٤.

(٢٧) راجع مثلاً أرشيف ماري الملكي، الجزء الأول (النص الأول) والجزء الثاني

(النص ١٣١).

(٢٨) F, Cornelius: **Ceschichte . p.103**

(٢٩) F. Sommer; A. Falkenstein: **Die hethitisch-akkadische Bilingue**

des Chattusili I. München 1938.

p.12ff.; 147ff.

(٣٠) راجع (النص ١٣) في مجلد النصوص:

E. Forrer: **Bogazköi-Texte in UMSchrift WVD OG 41.1972**

(٣١) راجع: F. Cornelius: **Ceschichte. 112** وكذلك الحاشية ٥٥ (ص ٣١٠).

(٣٢) اعتماداً على نص من بوغازي كوي هو (**KBo III 11, 32**).

- (٣٣) راجع الترجمة العربية للنقش في:
د. عيد مرعي: أدريمي ملك الآلاخ، دراسات تاريخية، العددان ٣٠/٢٩
(١٩٨٨)، ص ١٠٣-١٢٦.
- (٣٤) KBo I, 27.
- (٣٥) سمي بهذا الاسم نسبة إلى الإله تلبينو إله الخصب.
- (٣٦) راجع المرجع المذكور في الحاشية ١٤.
- (٣٧) راجع الرسالة ٣١ من نصوص العمارة في:
J. A. Knudtzon: Die EL-Amarna-Tafeln. Teil I. Leipzig 1915.
- (٣٨) Ibid الرسالة ٣٢.
- (٣٩) راجع النص: KUB 19, 9.
- (٤٠) تعتمد معلوماتنا عن شخصيته على تقرير مفصل لابنه مورشيلي، راجع:
H. G. Güterbock: JCS 10 (1956) 41ff.
- (٤١) حول حملاته على المدن السورية راجع الفصل السابع عشر من:
A. Goetze: Cambridge Ancient Historj. 1962
- (٤٢) Ibid. p. 15.
- (٤٣) راجع نصوص أوغاريت: PRU IV, p.35ff, 43, 40ff.
- (٤٤) KBo I, 1, 38ff.
- (٤٥) KBo V, 6, III وقد لقيت هذه الرسالة اهتماماً خاصاً من الباحثين، ونشرت
عنها دراسات كثيرة.
- (٤٦) KBo I, 3, 21ff.
- (٤٧) A. Goetze: Annaen des Mursillis. MVÄ 1933. pp.110, 118, 122.

KBo 1,6 KUB 111,6,5. (٤٨)

(٤٩) أهمها النص الكبير لختوشيلي الثالث (KUB I,1) إضافة إلى نصوص أخرى.

(٥٠) عن أحداث معركة قادش ونتائجها راجع:

F. Cornelius : **Geschichte der Hithiter**. pp. 229-234.

توفيق سليمان: دراسات في حضارات غرب آسية القديمة، ص ٢٧٨-٢٨٥.

(٥١) راجع:

E. Weiclner: **Die Inschriften Tukulti-Ninurtas I. und seine Nachfolger**. Graz 1959.

(٥٢) عن الخطر الاقتصادي راجع: F. Cornelius: **Geschichte**. Pp. 254f.

والمراجع المذكورة في الحاشية ١٦ (ص ٣٤٣) منه.

(٥٣) عن التاريخ السياسي لبلاد الحثيين بعد انهيار المملكة الحثية، راجع:

H. Klengel: **Kulturgeschichte**. 463 ff.